❁ ❁ ❁

تفسير سورة العاديات

وهي مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت في سبيله فعَدت وضَبحت، وهو: الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو. ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ يعني: اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار. ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ يعني: الإغارة وقت الصباح، كما كان رسول الله ﷺ يغير صباحاً ويتسمّع أذاناً، فإن سمع وإلا أغار. وقوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ يعني: غباراً في مكان معترك الخيول. ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ أي: توسطن ذلك المكان كُلّهن جُمع. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشجّ، حدثنا عبدة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ قال: الإبل. وقال علي: هي الإبل. وقال ابن عباس: هي الخيل. فبلغ علياً قولُ ابن عباس، فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر. قال ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت. قال ابن أبي حاتم وابن جرير: حدثنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس حدثه، قال: بينا أنا في الحِجْر جالساً، جاءني رجل فسألني عن: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾، فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني فذهب إلى علي، رضي الله عنه، وهو عند سقاية زمزم فسأله عن ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾، فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم، سألت ابن عباس فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله. قال: اذهب فادعه لي. فلما وقف على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك، والله لئن كان أول غزوة في الإسلام بدر، وما كان معنا إلا فَرَسان: فرس للزبير وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحاً؟ إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى. قال ابن عباس: فنزعت عن قولي ورجعت إلى الذي قال علي، رضي الله عنه. وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال: قال علي: إنما ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾ من عرفة إلى المزدلفة، فإذا أووا إلى المزدلفة أوروا النيران. وقال العوفي عن ابن عباس: هي الخيل. وقد قال بقول علي: إنها الإبل جماعة. منهم: إبراهيم، وعبيد بن عمير. وبقول ابن عباس آخرون، منهم: مجاهد وعكرمة، وعطاء وقتادة، والضحاك. واختاره ابن جرير. قال ابن عباس، وعطاء: ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب. وقال ابن جُرَيْج، عن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح: أح أح. وقال أكثر هؤلاء في

قوله: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ يعني: بحوافرها. وقيل: أسعَرْنَ الحرب بين رُكبانهن. قاله قتادة: وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾ يعني: مكر الرجال. وقيل: هو إيقاد النار إذا رجعوا إلى منازلهم من الليل. وقيل: المراد بذلك: نيران القبائل. وقال من فسرها بالخيل: هو إيقاد النار بالمزدلفة. وقال ابن جرير: والصواب الأول؛ أنها الخيل حين تقدم بحوافرها.

وقوله: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾: قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: يعني إغارة الخيل صبحاً في سبيل الله. وقال من فسرها بالإبل: هو الدفع صبحاً من المزدلفة إلى منى. وقالوا كلهم في قوله: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾ هو: المكان الذي إذا حلت فيه أثارت به الغبار، إما في حج أو غزو. وقوله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ قال العوفي، عن ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك: يعني جمع الكفار من العدو. ويحتمل أن يكون: فوسطن بذلك المكان جميعُهُن، ويكون ﴿جَمْعًا﴾ منصوباً على الحال المؤكدة.

وقد روى أبو بكر البزار ها هنا حديثاً غريباً جداً فقال: حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا حفص بن جُمَيع، حدثنا سِمَاك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً فأشهرت شهراً لا يأتيه منها خبر، فنزلت: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾، ضبحت بأرجلها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾: قدحت بحوافرها الحجارة فأورت ناراً، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾: صبَّحت القوم بغارة، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤﴾: أثارت بحوافرها التراب، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾ قال: صبحت القوم جميعاً. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾: هذا هو المقسم عليه، بمعنى: أنه لنعم ربه لجحود كفور. قال ابن عباس، ومجاهد وإبراهيم النَّخعي، وأبو الجوزاء، وأبو العالية، وأبو الضحى، وسعيد بن جبير، ومحمد بن قيس، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وابن زيد: الكنود: الكفور. قال الحسن: هو الذي يعد المصائب، وينسى نعم ربه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو كُرَيْبٌ، حدثنا عبيد الله، عن إسرائيل، عن جعفر بن الزبير، عن القاسم، عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾، قال: «الكفور الذي يأكل وحده، ويضرب عبده، ويمنع رفده». ورواه ابن أبي حاتم، من طريق جعفر بن الزبير ـ وهو متروك ـ فهذا إسناد ضعيف. وقد رواه ابن جرير أيضاً من حديث حريز بن عثمان، عن حمزة بن هانىء، عن أبي أمامة موقوفاً. وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾: قال قتادة وسفيان الثوري: وإن الله على ذلك لشهيد. ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان، قاله محمد بن كعب القرظي، فيكون تقديره: وإن الإنسان على كونه كنوداً لشهيد، أي: بلسان حاله، أي: ظاهر ذلك عليه في أقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]. وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ أي: وإنه لحب الخير ـ وهو: المال ـ لشديد. وفيه مذهبان: **أحدهما**: أن المعنى: وإنه لشديد المحبة للمال. **والثاني**: وإنه لحريص بخيل؛ من محبة المال. وكلاهما صحيح. ثم قال تعالى مُزَهِّداً في الدنيا، ومُرَغباً في الآخرة، ومنبهاً على ما هو كائن بعد هذه الحال، وما يستقبله الإنسان من الأهوال: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩﴾ أي: أخرج ما فيها من الأموات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠﴾ قال ابن عباس وغيره: يعني أبرز وأظهر ما كانوا يسرون في نفوسهم، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ أي: لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون، مجازيهم عليه أوفر الجزاء، ولا يظلم مثقال ذرة.

آخر تفسير سورة «والعاديات» ولله الحمد والمنة، وحسبنا الله

❁ ❁ ❁

(١٠٠) سورة العاديات مكية
وآياتها إحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ والعاديات ضبحا ﴾

اعلم أن الضبح أصوات أنفاس الخيل إذا عدت ، وهو صوت ليس بصهيل ولا حمحمة ، ولكنه صوت نفس ، ثم اختلفوا فى المراد بالعاديات على قولين :

﴿الأول﴾ ماروى عن على عليه السلام وابن مسعود أنها الإبل ، وهو قول ابراهيم والقرظى روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « بينا أنا جالس فى الحجر إذ أتانى رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ، ففسرتها بالخيل فذهب إلى على عليه السلام وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت ، فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه ، قال تفتى للناس بما لا علم لك به ، والله إن كانت لأول غزوة فى الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد (والعاديات ضبحا) الإبل من عرفة إلى مزدلفة ، ومن المزدلفة إلى منى ، يعنى إبل الحاج ، قال ابن عباس فرجعت عن قولى إلى قول على عليه السلام » ويتأكد هذا القول بما روى أبى فى فضل السورة مرفوعا «من قرأها أعطى من الأجر بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا» وعلى هذا القول (فالموريات قدحا) أن الحوافر ترمى بالحجر من شدة العدو فتضرب به حجراً آخر فتورى النار أو يكون المعنى الذين يركبون الإبل وهم الحجيج إذا أوقدوا نيرانهم بالمزدلفة (فالمغيرات) الإغارة سرعة السير وهم يندفعون صبيحة يوم النحر مسرعين إلى منى (فأثرن به نقعاً) يعنى غباراً بالعدو وعن محمد بن كعب النقع ما بين المزدلفة إلى منى (فوسطن به جمعاً) يعنى مزدلفة لأنها تسمى الجمع لاجتماع الحاج بها ، وعلى هذا التقدير ؛ فوجه القسم به من وجوه (أحدها) ما ذكرنا من المنافع الكثيرة فيه فى قوله (أفلا ينظرون إلى الإبل) (وثانيها) كأنه تعريض بالآدمى الكنود فكأنه تعالى يقول : إنى سخرت مثل هذا لك وأنت متمرد عن طاعتى (وثالثها) الغرض بذكر إبل الحج الترغيب فى الحج ، كأنه تعالى يقول : جعلت ذلك الإبل مقسما به ، فكيف أضيع

فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾

عملك ! وفيه تعريض لمن يرغب الحج ، فإن الكنود هو الكفور ، والذى لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك ، كما فى قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت) إلى قوله (ومن كفر) .

﴿القول الثانى﴾ قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وأكثر المحققين أنه الخيل ، وروى ذلك مرفوعاً . قال الكلبى : بعث رسول الله ﷺ سرية إلى أناس من كنانة فمكث ما شاء الله أن يمكث لا يأتيه منهم خبر فتخوف عليها . فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها ، فإن جعلنا الألف واللام فى (والعاديات) للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية ، وإن جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت فى سبيل الله .

واعلم أن ألفاظ هذه الآيات تنادى أن المراد هو الخيل ، وذلك لأن الضبح لا يكون إلا للفرس ، واستعمال هذا اللفظ فى الإبل يكون على سبيل الاستعارة ، كما استعير المشافر والحافر للانسان ، والشفتان للمهر ، والعدول من الحقيقة إلى المجاز بغير ضرورة لا يجوز ، وأيضاً فالقدح يظهر بالحافر مالا يظهر بخف الإبل ، وكذا قوله (فالمغيرات صبحاً) لأنه بالخيل أسهل منه بغيره ، وقد روينا أنه ورد فى بعض السرايا ، وإذا كان كذلك فالأقرب أن السورة مدنية ، لأن الإذن بالقتال كان بالمدينة ، وهو الذى قاله الكلبى ، إذا عرفت ذلك فههنا مسائل :

﴿ المسألة الأولى ﴾ أنه تعالى إنما أقسم بالخيل لأن لها فى العدو من الخصال الحميدة ما ليس لسائر الدواب ، فإنها تصلح للطلب والهرب والكر والفر ، فإذا ظننت أن النفع فى الطلب عدوت إلى الخصم لتفوز بالغنيمة ، وإذا ظننت أن المصلحة فى الهرب قدرت على أشد العدو ، ولا شك أن السلامة إحدى الغنيمتين ، فأقسم تعالى بفرس الغازى لما فيه من منافع الدنيا والدين ، وفيه تنبيه على أن الإنسان يجب عليه أن يمسكه لا للزينة والتفاخر ، بل لهذه المنفعة ، وقد نبه تعالى على هذا المعنى فى قوله (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة) فأدخل لام التعليل على الركوب وما أدخله على الزينة وإنما قال (ضبحاً) لأنه أمارة يظهر به التعب وأنه يبذل كل الوسع ولا يقف عند التعب ، فكأنه تعالى يقول : إنه مع ضعفه لا يترك طاعتك ، فليكن العبد فى طاعة مولاه أيضاً كذلك .

﴿ المسألة الثانية ﴾ ذكروا فى انتصاب (ضبحاً) وجوهاً (أحدها) قال الزجاج : والعاديات تضبح ضبحاً (وثانيها) أن يكون (والعاديات) فى معنى والضابحات ، لأن الضبح يكون مع العدو ، وهو قول الفراء (وثالثها) قال البصريون : التقدير : والعاديات ضابحة ، فقوله (ضبحا) نصب على الحال .

أما قوله تعالى ﴿ فالموريات قدحاً ﴾

فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾

فاعلم أن الإيراء إخراج النار ، والقدح الصك تقول قدح فأورى وقدح فأصلد ، ثم في تفسير الآية وجوه (أحدها) قال ابن عباس : يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزند إذا قدح ، وقال مقاتل : يعني الخيل تقدحن بحوافرهن في الحجارة ناراً كنار الحباحب (١) والحباحب اسم رجل كان بخيلا لا يوقد النار إلا إذا نام الناس ، فإذا انتبه أحد أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد . فشبهت هذه النار التي تنقدح من حوافر الخيل بتلك النار التي لم يكن فيها نفع ومن الناس من يقول : إنها نعل الحديد يصك الحجر فتخرج النار ، والأول أبلغ لأن على ذلك التقدير تكون السنابك نفسها كالحديد (وثانيها) قال قوم هذه الآيات في الخيل ، ولكن إيراؤها أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوهم ، كما قال تعالى (كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله) ومنه يقال للحرب إذا التحمت حمى الوطيس (وثالثها) هم الذين يغزون فيورون بالليل نيرانهم لحاجتهم وطعامهم (فالموريات) هم الجماعة من الغزاة (ورابعها) إنها هي الألسنة توري نار العداوة لعظم ما تتكلم به (وخامسها)هي أفكار الرجال توري نار المكر والخديعة ، روي ذلك عن ابن عباس ، ويقال لأقدحن لك ثم لأورين لك ، أي لأهيجن عليك شراً وحرباً ، وقيل هو المكر إلا أنه مكر بإيقاد النار ليراهم العدو كثيراً ، ومن عادة العرب عند الغزو إذا قربوا من العدو أن يوقدوا نيراناً كثيرة ، لكي إذا نظر العدو إليهم ظنهم كثيراً (وسادسها) قال عكرمة الموريات قدحا الألسنة (وسابعها) (فالموريات قدحا) أي فالمنجحات أمراً ، يعني الذين وجدوا مقصودهم وفازوا بمطلوبهم من الغزو والحج ، ويقال للمنجح في حاجته ورى زنده ، ثم يرجع هذا إلى الجماعة المنجحة ، ويجوز أن يرجع إلى الخيل ينجح ركبانها قال جرير :

وجدنا الأزد أكرمهم جواداً وأوراهم إذا قدحوا زنادا

ويقال فلان إذا قدح أورى ، وإذا منح أورى ، واعلم أن الوجه الأول أقرب لأن لفظ الإيراء حقيقة في إيراء النار ، وفي غيره مجاز ، ولا يجوز ترك الحقيقة بغير دليل .

أما قوله تعالى ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ يعني الخيل تغير على العدو وقت الصبح ، وكانوا يغيرون صباحاً لأنهم في الليل يكونون في الظلمة فلا يبصرون شيئاً ، وأما النهار فالناس يكونون فيه كالمستعدين للمدافعة والمحاربة ، أما هذا الوقت فالناس يكونون فيه في الغفلة وعدم الاستعداد . وأما الذين حملوا هذه الآيات على الإبل ، قالوا المراد هو الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى . والسنة أن لا تغير حتى تصبح ، ومعنى الإغارة في اللغة الإسراع ، يقال أغار إذا أسرع وكانت العرب في الجاهلية تقول : أشرق ثبير كيما نغير . أي نسرع في الإفاضة .

أما قوله ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ ففيه مسائل .

(١) ويقال : الحباحب طائر صغير كالذبابة تضيء ليلا فيظنه الرائي ناراً .

فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾

﴿ المسألة الأولى ﴾ فى النقع قولان (أحدهما) أنا هو الغبار وقيل إنه مأخوذ من نقع الصوت إذا ارتفع ، فالغبار يسمى نقعاً لارتفاعه ، وقيل هو من النقع فى الماء ، فكأن صاحب الغبار غاص فيه ، كما يغوص الرجل فى الماء . (والثانى) النقع الصياح من قوله عليه الصلاة والسلام . « مالم يكن نقع ولا لقلقة » أى فهيجن فى المغار عليهم صياح النوائح ، وارتفعت أصواتهن ، ويقال ثار الغبار والدخان ، أى ارتفع وثار القطا عن مفحصه ، وأثرن الغبار أى هيجنه ، والمعنى أن الخيل أثرن الغبار لشدة العدو فى الموضع الذى أغرن فيه .

﴿ المسألة الثانية ﴾ الضمير فى قوله به إلى ماذا يعود ؟ فيه وجوه (أحدها) وهو قول الفراء أنه عائد إلى المكان الذى انتهى إليه ، والموضع الذى تقع فيه الإغارة ، لأن فى قوله (فالمغيرات صبحاً) دليلا على أن الإغارة لابد لها من وضع ، وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجر ذكره بالتصريح كقوله (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) و(ثانيها) إنه عائد إلى ذلك الزمان الذى وقعت فيه الإغارة ، أى فأثرن فى ذلك الوقت نقعاً (وثالثها) وهو قول الكسائى أنه عائد إلى العدو ، أى فأثرن بالعدو نقعاً ، وقد تقدم ذكر العدو فى قوله (والعاديات) .

﴿ المسألة الثالثة ﴾ فإن قيل على أى شىء عطف قوله (فأثرن) قلنا على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه ، والتقدير واللائى عدون فأورين ، وأغرن فأثرن .

﴿ المسألة الرابعة ﴾ قرأ أبو حيوة (فأثرن) بالتشديد بمعنى فأظهرن به غباراً ، لأن التأثير فيه معنى الإظهار ، أو قلب ثورن إلى وثرن وقلب الواو همزة .

قوله تعالى : ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ ففيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ قال الليث وسطت النهر والمفازة أسطها وسطا وسطة ، أى صرت فى وسطها ، وكذلك وسطتها وتوسطتها ، ونحو هذا ، قال الفراء : والضمير فى قوله (به) إلى ماذا يرجع فيه وجوه (أحدها) قال مقاتل : أى بالعدو ، وذلك أن العاديات تدل على العدو ، فجازت الكناية عنه ، وقوله (جمعاً) يعنى جمع العدو ، والمعنى صرن بعدوهن وسط جمع العدو ، ومن حمل الآيات على الإبل ، قال يعنى جمع منى (وثانيها) أن الضمير عائد إلى النقع أى (وسطن) بالنقع الجمع (وثالثها) المراد أن العاديات وسطن ملبسا بالنقع جمعاً من جموع الأعداء ،

﴿ المسألة الثانية ﴾ قرىء (فوسطن) بالتشديد للتعدية ، والباء مزيدة للتوكيد كقوله (وأتوا به) وهى مبالغة فى وسطن ، واعلم أن الناس أكثروا فى صفة الفرس ، وهذا القدر الذى ذكره الله أحسن ، وقال عليه الصلاة السلام « الخيل معقود بنواصيها الخير » ، وقال أيضا « ظهرها حرز

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

وبطها كنز » واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به ، ذكر المقسم عليه وهو أمور ثلاثة :

(أحدها) قوله ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ قال الواحدى أصل الكنود منع الحق والخير والكنود الذى يمنع ماعليه ، والأرض الكنود هى التى لا تنبت شيئاً ثم للمفسرين عبارات ، فقال ابن عباس ومجاهد عكرمة والضحاك وقتادة : الكنود هو الكفور قالوا ومنه سمى الرجل المشهور كندة لأنه كند أباه ففارقه ، وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل ، وبلسان مضر وربيعة الكفور ، وروى أبو أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن (الكنود) هو الكفور الذى يمنع رفده ، ويأكل وحده ، ويضرب عبده ، وقال الحسن (الكنود) اللوام لربه يعد المحن والمصائب ، وينسى النعم والراحات ، وهو كقوله (وأما إذا ما ابتلاه ربه فقدره عليه رزقه فيقول ربى أهانن) .

واعلم أن معنى الكنود لايخرج عن أن يكون كفراً أو فسقاً ، وكيفما كان فلا يمكن حمله على كل الناس ، فلا بد من صرفه إلى كافر معين ، أو إن حملناه على الكل كان المعنى أن طبع الإنسان يحمله على ذلك إلا إذا عصمه الله بلطفه وتوفيقه من ذلك ، والأول قول الأكثرين قالو لأن ابن عباس قال : إنها نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى ، وأيضاً فقوله (أفلا يعلم إذا بعثر مافى القبور) لايليق إلا بالكافر ، لأن ذلك كالدلالة على أنه منكر لذلك الأمر .

﴿ الثانى ﴾ من الأمور التى أقسم الله عليها قوله ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ وفيه قولان (أحدهما) أن الإنسان على ذلك أى على كنوده لشهيد يشهد على نفسه بذلك ، أما لأنه أمر ظاهر لايمكنه أن يجحده ، أو لأنه يشهد على نفسه بذلك فى الآخرة ويعترف بذنوبه (القول الثانى) المراد وإن الله على ذلك لشهيد قالوا وهذا أولى لأن الضمير عائد إلى أقرب المذكورات والأقرب ههنا هو لفظ الرب تعالى ويكون ذلك كالوعيد والزجر له عن المعاصى من حيث إنه يحصى عليه أعماله ، وأما الناصرون للقول الأول فقالوا إن قوله بعد ذلك (وإنه لحب الخير لشديد) الضمير فيه عائد إلى الانسان ، فيجب أن يكون الضمير فى الآية التى قبله عائداً إلى الانسان ليكون النظم أحسن.

﴿ الأمر الثالث ﴾ مما أقسم الله عليه قوله ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ الخير المال من قوله تعالى (إن ترك خيراً) وقوله (وإذا مسه الخير منوعا) وهذا لأن الناس يعدون المال فيما بينهم خيراً كما أنه تعالى سمى ما نال المجاهد من الجراح وأذى الحرب سوءا فى قوله (لم يمسسهم

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾

سوء) والشديد البخيل الممسك ، يقال فلان شديدة ومتشدد ، قال طرفة :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

ثم في التفسير وجوه (أحدها) أنه لأجل حب المال لبخيل ممسك (وثانيها) أن يكون المراد من الشديدة القوى ، ويكون المعنى وإنه لحب المال وإيثار الدنيا وطلبها قوى مطيق ، وهو لحب عبادة الله وشكر نعمه ضعيف ، تقول هو شديد لهذا الأمر وقوى له ، وإذا كان مطيقاً له ضابطاً (وثالثها) أراد إنه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (ورابعها) قال الفراء يجوز أن يكون المعنى وإنه لحب الخير لشديد الحب يعنى أنه يحب المال ، ويحب كونه محباً له ، إلا أنه اكتفى بالحب الأول عن الثاني ، كما قال (اشتدت به الريح في يوم عاصف) أى في يوم عاصف الريح فاكتفى بالأولى عن الثانية (وخامسها) قال قطرب ، أى إنه شديد حب الخير ، كقولك إنه لزيد ضروب أى أنه ضروب زيد .

واعلم أنه تعالى لما عد عليه قبائح أفعاله خوفه ، فقال ﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور ﴾ وفيه مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ القول في (بعثر) مضى في قوله تعالى (وإذا القبور بعثرت) وذكرنا أن معنى (بعثرت) بعث وأثير وأخرج ، وقرىء بحثر .

﴿ المسألة الثانية ﴾ لقائل أن يسأل لم قال (بعثر ما في القبور) ولم يقل بعثر من في القبور ؟ ثم إنه لما قال ما في القبور ، فلم قال (إن ربهم بهم) ولم يقل إن ربها بها يومئذ لخبير ؟ (الجواب عن السؤال الأول) هو أن ما في الأرض من غير المكلفين أكثر فأخرج الكلام على الأغلب ، أو يقال أنهم حال ما يبعثون لا يكونون أحياء عقلاء بل بعد البعث يصيرون كذلك ، فلا جرم كان الضمير الأول ضمير غير العقلاء ، والضمير الثاني ضمير العقلاء .

ثم قال تعالى ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾ قال أبو عبيدة ، أى ميز ما في الصدور ، وقال الليث : الحاصل من كل شيء ما بقى وثبت وذهب سواه ، والتحصيل تمييز ما يحصل والإسم الحصيلة قال لبيد :

وكل امرى يوماً سيعلم سعيه إذا حصلت عند الإله الحصائل

وفي التفسير وجوه (أحدها) معنى حصل جمع في الصحف ، أى أظهرت محصلا مجموعاً (وثانيها) أنه لا بد من التمييز بين الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والمحظور ، فإن لكل واحد ومنه قيل للمنخل المحصل (وثالثها) أن كثيراً ما يكون باطن الإنسان بخلاف ظاهره ، أما في يوم القيامة فإنه تتكشف الأسرار وتنهتك الأستار ، ويظهر ما في البواطن ، كما قال (يوم تبلى السرائر) واعلم أن حظ الوعظ منه أن يقال إنك تستعد فيما لا فائدة لك فيه ، فتبنى المقبرة وتشترى

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

التابوت ، وتفصل الكفن ، وتغزل العجوز الكفن ، فيقال هذا كله للديدان ، فأين حظ الرحمن ! بل المرأة إذا كانت حاملا فإنها تعد للطفل ثياباً ، فإذا قلت لها لا طفل لك فما هذا الاستعداد ؟ فتقول أليس يبعثر مافى بطنى ؟ فيقول الرب لك : ألا يبعثر مافى بطن الأرض . فأين الاستعداد ، وقرىء وحصل بالفتح والتخفيف بمعنى ظهر .

ثم قال ﴿ إن ربهم بهم يومئذ لخبير ﴾ اعلم أن فيه سؤالات :

﴿ الأول ﴾ أنه يوهم أن علمه بهم فى ذلك اليوم إنما حصل بسبب الخبرة ، وذلك يقتضى سبق الجهل وهو على الله تعالى محال (الجواب) من وجهين (أحدهما) كأنه تعالى يقول : إن من لم يكن عالما ، فانه يصير بسبب الاختبار عالماً ، فمن كان لم يزل عالماً أن يكون خبيرا بأحوالك ! (وثانيهما) أن فائدة تخصيص ذلك الوقت فى قوله (يومئذ) مع كونه عالماً لم يزل أنه وقت الجزاء ، وتقريره لمن الملك كأنه يقول لا حاكم يروج حكمه ولا عالم تروج فتواه يومئذ إلا هو ، وكم عالم لا يعرف الجواب وقت الواقعة ثم يتذكره بعد ذلك ، فكأنه تعالى يقول لست كذلك .

﴿ السؤال الثانى ﴾ لم خص أعمال القلوب بالذكر فى قوله (وحصل ما فى الصدور) وأهمل ذكر أعمال الجوارح ؟ (الجواب) لأن أعمال الجوارح تابعة لأعمال القلب . فإنه لولا البواعث والإردات فى القلوب لما حصلت أفعال الجوارح ، ولذلك إنه تعالى جعلها الأصل فى الذم ، فقال (آثم قلبه) والأصل فى المدح ، فقال (وجلت قلوبهم) .

﴿ السؤال الثالث ﴾ لم قال (وحصل مافى الصدور) ولم يقل وحصل مافى القلوب ؟ (الجواب) لأن القلب مطية الروح وهو بالطبع محب لمعرفة الله وخدمته ، إنما المنازع فى هذا الباب هو النفس ومحلها ما يقرب من الصدر ، ولذلك قال (يوسوس فى صدور الناس) وقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام) فجعل الصدر موضعاً للاسلام .

﴿ السؤال الرابع ﴾ الضمير فى قوله (إن ربهم بهم) عائد إلى الإنسان وهو واحد (والجواب) الإنسان فى معنى الجمع كقوله تعالى (إن الإنسان لفى خسر) ثم قال (إلا الذين آمنوا) ولولا أنه للجمع وإلا لما صح ذلك . واعلم أنه بقى من مباحث هذه الآية مسألتان :

﴿ المسألة الأولى ﴾ هذه الآية تدل على كونه تعالى عالماً بالجزئيات الزمانيات ، لأنه تعالى نص على كونه عالماً بكيفية أحوالهم فى ذلك اليوم فيكون منكره كافراً .

﴿ المسألة الثانية ﴾ نقل أن الحجاج سبق على لسانه أن بالنصب ، فأسقط اللام من قوله (لخبير) حتى لا يكون الكلام لحناً ، وهذا يذكر فى تقرير فصاحته ، فزعم بعض المشايخ أن هذا كفر لأنه قصد لتغيير المنزل . ونقل عن أبى السمال أنه قرأ على هذا الوجه ، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

١٠٠ ـــ سورة العاديات

(مكية وهى إحدى عشرة آية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ ١٠٠ العاديات

فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ ١٠٠ العاديات

فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ ١٠٠ العاديات

فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ ١٠٠ العاديات

فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ ١٠٠ العاديات

﴿ سورة العاديات مكية مختلف فيها وآيها إحدى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والعاديات) أقسم سبحانه بخيل الغزاة التى تعدو نحو العدو وقوله تعالى
(ضبحاً) مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالا منها أى تضبح ضبحاً وهو صوت أنفسها *
عند عدوها أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات أو حال على أنه مصدر بمعنى
٢ الفاعل أى ضابحات (فالموريات قدحاً) الإيراء إخراج النار والقدح الصك يقال قدح فأورى أى
٣ تورى النار من حوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجوه الثلاثة (فالمغيرات) أسند
الإغارة التى هى مباغتة العدو للنهب أو للقتل أو للأسر إليها وهى حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة فى
إغارتهم (صبحاً) أى فى وقت الصبح وهو المعتاد فى الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون *
٤ عليهم صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وقوله تعالى (فأثرن به) عطف على الفعل الذى دل عليه اسم
الفاعل إذ المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن به أى فهيجن بذلك الوقت (نقعاً) أى غباراً *
وتخصيص إثارته بالصبح لأنه لا يثور أو لا يظهر ثورانه بالليل وبهذا ظهر أن الإيراء الذى لا يظهر
فى النهار واقع فى الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرىء فأثرن بالتشديد بمعنى
فأظهرن به غباراً لأن التأثير فيه معنى الإظهار (فوسطن به) أى توسطن بذلك الوقت أو توسطن ٥
ملتبسات بالنقع (جمعاً) من جموع الأعداء والفاءات للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها كما *
فى قوله [يا لهف زيابة للحارث ال * صابح فالغانم فالآيب] فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ ١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ ١٠٠ العاديات

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ١٠٠ العاديات

أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ ١٠٠ العاديات

وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ١٠٠ العاديات

إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ ١٠٠ العاديات

على الإيراء المترتب على العدو وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) أى لكفور من كند النعمة ٦
كنوداً جواب القسم والمراد بالإنسان بعض أفراده . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث
إلى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصارى وكان أحد النقباء فأبطأ عليه
عليه الصلاة والسلام خبرها شهراً فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة إخباراً للنبى صلى الله عليه
وسلم بسلامتها وبشارة له بإغارتها على القوم ونعياً على المرجفين فى حقهم ماهم فيه من الكنود وفى
تخصيص خيل الغزاة بالإقسام بها من البراعة مالا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التى فعلت كيت
وكيت وقد أرجف هؤلاء فى حق أربابها ما أرجفوا أنهم مبالغون فى الكفران (وإنه على ذلك) ٧
أى وإن الإنسان على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه (وإنه لحب الخير) ٨
أى المال كما فى قوله تعالى إن ترك خيراً (لشديد) أى قوى مطيق مجد فى طلبه وتحصيله متهالك عليه *
يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً وقيل الشديد البخيل أى أنه لأجل حب
المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء
إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون
أموالهم ويحوزون من الغنائم نصيباً وقوله تعالى (أفلا يعلم إذ بعثر مافى القبور) الخ تهديد ووعيد ٩
والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ
فلا يعلم حاله إذا بعث من فى القبور من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء بحثر
وبحث وبحثر وبحث على بنائهم للفاعل (وحصل) أى جمع محصلا أو ميز خيره من شره وقرىء وحصل ١٠
مبنياً للفاعل وحصل مخففاً (مافى الصدور) من الأسرار الخفية التى من جملتها مايخفيه المنافقون من *
الكفر والمعاصى فضلا عن الأعمال الجلية (إن ربهم) أى المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثانى بضمير ١١
العقلاء بعد ماعبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم فى الحالين كما فعل نظيره بعد الإحياء الأول

سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء مدنيـة في قول أنس وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقد أخرج عنه البزار وابن المنـذر وابن أبى حاتم والدارقطنى في الافراد وابن مردويه انه قال بعث رسول الله صلى الله تعالى عليـه وسلم خيلا فاستمرت شهراً لاياتيه منها خبر فنزلت والعاديات الخ

وآيها احدى عشرة آية بلا خلاف وأخرج أبو عبيد في فضائله من مرسل الحسن انها تعدل بنصف القرآن وأخرج ذلك محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس مرفوعا ولم اقف على سره ولما ذكر سبحانه فيما قبلها الجزاء على الخير والشر أتبع ذلك فيها بتعنيت من آثر دنياه على آخرته ولم يستعد لها بفعل الخير ولا يخفى مافي قوله تعالى هناك وأخرجت الارض أثقالها وقوله سبحانه هنا اذا بعثر مافي القبور من المناسبة والملاقة على ماسمعت من أن المراد بالاثقال مافي جوفها من الاموات أو مايعمهم والكنوز

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَادِيَاتِ﴾ الجمهور على انه قسم بخيل الغزاة في سبيل الله تعالى التي تعدو اى تجرى بسرعة نحو العدو واصل العاديات العادوات بالواو فقلت ياء لانكسار ماقبلها وقوله تعالى ﴿ضَبْحًا﴾ مصدر منصوب بفعله المحذوف أي تضبح أو يضبحن ضبحا والجملة في موضع الحال وضبحها صوت انفاسها عند عدوها وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس الخيل اذا عدت قالت اح اح فذلك ضبحها وأخرج ابن جرير عن علي كرم الله تعالى وجهه الضبح من الخيل الحمحمة ومن الابل التنفس وفي البحر تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهيل ولا رغاء ولا نباح بل هو غير الصوت المعتاد من صوت الحيوان الذى ينسب هو اليه وعن ابن عباس ليس يضبح من الحيوان غير الخيل والكلاب ولا يصح عنه فان العرب استعملت الضبح في الابل والاسود من الحيات والبوم والارنب والثعلب وربما تسنده الى القوس أنشد أبو حنيفة في صفتها

حنانة من نشم أو تالب ✡ تضبح في الكف ضباح الثعلب

وذكر بعضهم ان أصله للثعلب فاستعير للخيل كما في قول عنترة

والخيل تكدح حين تضـ ✡ ـبح في حياض الموت ضبحا

وانه من ضبحته النار غيرت لونه ولم تبالغ فيه ويقال انضبح لونه تغير الى السواد قليلا وقال أبو عبيدة الضبح وكذا الضبع بمعنى العدو الشديد وعليه قيل إنه مفعول مطلق للعاديات وليس هناك فعل مقدر وجوز على تفسيره بما تقدم أن يكون نصبا على المصدرية به أيضا لكن باعتبار ان العدو مستلزم للضبح فهو في قوة فعل الضبح ويجوز أن يكون نصبا على الحال مؤولا باسم الفاعل بناء على ان الاصل فيها أن تكون غير جامدة أى والعاديات ضابحات ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ الايراء اخراج النار والقدح هو الضرب والصك المعروف يقال قدح فاورى اذا أخرج النار وقدح فاصلد اذا قدح ولم يخرجها والمراد بها الخيل أيضا أى فالتى تورى النار من صدم حوافرها للحجارة وتسمى تلك النار نار الحباحب وهو اسم رجل بخيل كان لا يوقد الا نارا ضعيفة مخافة الضيفان فضربوا بها المثل حتى قالوا ذلك لما تقدحه الخيل بحوافرها والابل باخفافها وانتصاب قدحا كانتصاب ضبحا على ما تقدم وجوز كونه على التمييز المحول عن الفاعل أى فالمورى قدحها ولعله أميز وأبعد عن القدح وعن قتادة الموريات مجاز في الخيل تورى نار الحرب وتوقدها وهو خلاف الظاهر ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ من أغار على العدو هجم عليه بغتة بخيله لنهب أو قتل أو اسار فالاغارة صفة أصحاب الخيل واسنادها اليها اما بالتجوز فيه أو بتقدير المضاف والاصل فالمغير أصحابها أى فالتى يغير أصحابها العدو عليها وقيل بسببها ﴿صُبْحًا﴾ أى في وقت الصبح فهو نصب على الظرفية وذلك هو المعتاد في الغارات كانوا يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون صباحا ليروا ما يأتون وما يذرون وكانوا يتحمسون بذلك ومنه قوله

قومى(١) الذين صبحوا الصباحا ✡ يوم النخيل غارة ملحاحا

﴿ فَأَثَرْنَ بِهِ ﴾ من الاثارة وهي التهييج وتحريك الغبار ونحوه والاصل أثورن نقلت حركة الواو الى ماقبلها وقلبت ألفا وحذفت لاجتماع الساكنين والفعل عطف على الاسم قبله وهو العاديات أو مابعده لانه اسم فاعل وهو في معنى الفعل خصوصا اذا وقع صلة فكانه قيل فاللاتي عدون فأورين فأغرن فاثرن ولا شذوذ في مثله لان الفعل تابع فلا يلزم دخول أل عليه ولا حاجة الى أن يقال هو معطوف على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه والحكمة في مجيء هذا فعلا بعد اسم فاعل على ما قال ابن المنير تصوير هذه الافعال في النفس فان التصوير يحصل بايراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو أبلغ من التصوير بالاسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد المضارع كقول ابن معد يكرب

باني قد لقيت الغول يهوى ✡ بشهب كالصحيفة صحصحان

فآخذه فأضربه فخرت ✡ صريعا لليدين وللجران

وخص هذا المقام من الفائدة على ماقال الطيبى ان الخيل وصفت بالاوصاف الثلاثة ليرتب عليها ما قصد من الظفر بالفتح فجيء بهذا الفعل الماضي وما بعده مسببين عن اسماء الفاعلين فأفاد ذلك ان تلك المداومة أنتجت هاتين البغيتين ويفهم منه ان الفاء لتفريع ما بعدها عما قبلها وجعله مسببا عنه وسيأتي الكلام فيها قريبا ان شاء الله تعالى وضمير به للصبح والباء ظرفية أى فهيجن في ذلك الوقت ﴿ نَقْعًا ﴾ أى غبارا وتخصيص اثارته بالصبح لانه لايثور أولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر ان الايراء الذى لايظهر في النهار واقع في الليل وفي ذكر اثارة الغبار اشارة بلا غبار الى شدة العدو وكثرة الكر والفر وكثيرا مايشيرون به الى ذلك ومنه قول ابن رواحة

عدمت بنيتى ان لم تروها ✡ تثير النقع من كنفى كداء

وقال أبو عبيدة النقع رفع الصوت ومنه قول لبيد

فتى ينقع صراخ صادق ✡ يحلبوه ذات جرس وزجل

وقول عمر رضي الله تعالى عنه وقد قيل له يوم توفى خالد بن الوليد ان النساء قد اجتمعن يبكين على خالد ما على نساء بنى المغيرة ان يسفكن على أبى سليمان دموعهن وهن جلوس مالم يكن نقع ولا لقلقة والمعنى عليه فهيجن في ذلك الوقت صياحا وهو صياح من هجم عليه واوقع به والمشهور المعنى الاول وجوز كون ضمير به للعدو الدال عليه العاديات أو للاغارة الدال عليها المغيرات والتذكير لتأويلها بالجرى ونحوه والباء للسببية أو للملابسة وجوز كونها ظرفية أيضاً والضمير للمكان الدال عليه السياق والاول أظهر والطف ومثله ضمير به في قوله عز وجل ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِ ﴾ أى فتوسطن في ذلك الوقت ﴿ جَمْعًا ﴾ من جموع الاعداء وجوز فيه وفي بائه نحو ما تقدم في به قبله وجوز أيضا كون الضمير للنقع والباء للملابسة أى فتوسطن ملتبسات بالنقع جمعا أو هي على ما قيل للتعدية ان أريد انها وسطت الغبار والفاآت كما في الارشاد للدلالة على ترتيب ما بعد كل منها على ماقبله فتوسط الجمع مترتب على الاثارة المترتبة على الايراء المترتب على العدو وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة فاثرن وفوسطن بتشديد الثاء والسين وقرأ على كرم الله تعالى وجهه وزيد بن على وقتادة وابن أبى ليلى الاول كالجمهور والثانى كذلك والمعنى على تشديد الاول فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار وعلى تشديد الثانى على نحو ماتقدم فقد نقلوا ان وسط مخففا ومثقلا بمعنى واحد وانهما لغتان وقال ابن جنى المعنى ميزن به جمعا أى

(١) قوله قومى الخ المشهور نحن للذون اهـ منه

جملته شطر بن أي قسمين وشقين وقال الزمخشري التشديد فيه للتعدية والباء مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى وأوتوا به في قراءة وهي مبالغة في وسطن وجوز أن يكون قلب ثورن الى وثرن ثم قلبت الواو همزة فالمعنى على ماصر وهو تمحل مستغنى عنه. وعن السدى ومحمد بن كعب وعبيد بن عمير انهم قالوا العاديات هي الابل تعدو ضبحا من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى ونسب الى على كرم الله تعالى وجهه فقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم وابن الانبارى فى كتاب الاضداد وابن مردويه والحاكم وصححه عن ابن عباس قال بينما أنا في الحجر جالس اذ أتاني رجل فسألني عن العاديات ضبحا فقلت الخيل حين تغير فى سبيل الله تعالى ثم تأوى الى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني فذهب الى على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه وهو جالس تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلى قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال هي الخيل حين تغير فى سبيل الله تعالى فقال اذهب فادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام لبدر وما كان معنا الا فرسان فرس الزبير وفرس المقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات ضبحا الابل تعدو من عرفة الى المزدلفة فاذا أووا الى المزدلفة أوروا النيران والمغيرات صبحا من المزدلفة الى منى فذلك جمع وأما قوله تعالى فاثرن به نقعا فهو نقع الارض حين تطؤها بخفافها قال ابن عباس فنزعت عن قولى الى قول على كرم الله تعالى وجهه ورضى الله تعالى عنه واستشكل رده كرم الله تعالى وجهه كون المراد بها الخيل بما كان من أمر غزوة بدر بان ابن عباس لم يدع أن أل في العاديات للعهد وأنها اشارة الى عاديات بدر ولا أن السورة نزلت في شأن تلك الغزوة ليلزم تحقق ذلك فيها ودخولها تحت العموم بل ظاهر كلامه حمل ذلك على جنس الخيل التى تعدو في سبيل الله عز وجل وان حملت على العهد وقيل ان المعهود هو الخيل التى بعثها عليه الصلاة والسلام للغزو على ما سمعت صدر السورة وكذا على ماروى من أنه عليه الصلاة والسلام بعث الى أناس من بنى كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصارى وكان أحد النقباء فابطأ عليه صلى الله تعالى عليه وسلم خبرها شهرا فقال المنافقون انهم قتلوا فنزلت السورة اخبارا له عليه الصلاة والسلام بسلامتها وبشارة له صلى الله تعالى عليه وسلم باغارتها على القوم لم يبعد وأجيب بانه كرم الله تعالى وجهه أراد أن غزوة بدر هي أفضل غزوات الاسلام وبدرها الذى ليس فيه انثلام فيتعين ان لاتكون المراد ذلك ويسلك في الآية مايناسبها من المسالك ولايخفى ان هذا الجواب لايتحمل لمزيد ضعفه الاغارة عليه واطلاق أعنة عاديات الافكار اليه والاحرى ان الخبر لاصحة له وتصحيح الحاكم محكوم عليه عند أهل الاثر بكثرة التساهل فيه وانه غير معتبر ثم ان النقل عنه رضى الله تعالى عنه في المراد بالعاديات متعارض فما تقدم انه ابل الحجاج ونقل صاحب التاويلات انه كرم الله تعالى وجهه فسرها بابل بدر وان ابن مسعود هو الذى فسرها بابل الحجاج ويرجح ارادة الخيل ان اثارة النقع فيها أظهر منها في الابل ثم ان ذلك الخبر يقتضى أن للقسم بهنوعان الخيل والابل وجماعة الغزاة أو الحجاج الموقدة نارا لطعامها أو نحوه وفي بعض الآثار عن ابن عباس ماهو أصرح مما تقدم في تفسير الموريات بما يغاير العاديات بالذات ففى البحر عنه انها الجماعة التى تورى نارها بالليل لحاجتها وطعامها وفى رواية أخرى عنه تلك جماعة الغزاة تكثر النار ارهابا ورويت المغايرة عن آخرين أيضا فمن مجاهد وزيد بن أسلم وهي رواية أخرى عن ابن عباس هي الجماعة تمكر في الحرب فالعرب تقول اذا أرادت المكر بالرجل والله لاورين له ومن الغريب ماروى عن عكرمة انها ألسنة الرجال تورى النار من عظيم مايتكلم به ويظهر من الحجج والدلائل واظهار الحق وابطال الباطل وهو كما ترى ✡ ومن البطون والاشارات ان

يكون المقسم به النفوس العادية اثر كالهن الموريات بافكارهن أنوار المعارف والمغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مثل أنوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن بذلك الشوق جمعا من جموع العليين ومثله ما قيل ان ذلك قسم بالهمم القالبية التى تعدو فى سبيل الله تعالى خارجا من جوف اشتياقها صوت الدعاء من شدة العدو وغاية الشوق بحيث يسمع الروحانيون ضجيج دعائها وتضرعها والتماسها تسهيل سلوك الطريق الوعر الذى يتعلق بجبال القالب الموريات بحوافر الذكر نار الهداية المستكنة فى حجر القالب وقت تخمير اللطيفة والمغيرات بعد سلوكها فى جبال القالب الراسية فى ظلام الليل القالبى وعبورها عنها الى أفق عالم النفس وتنفس صبح النفس على الخواطر النفسية وشؤنها فيهيجن بذلك الجرى غبار الخواطر وأثرنه لئلا يختفى خاطر من الخواطر فوسطن بذلك جمعا من جنود القوى القلبية وحزب الخواطر الذكرية التى هى حزب الرحمن فى وسط عالم النفس ولهم فى هذا الباب غير ذلك وأياما كان فالمقسم عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ أى لكفور جحود من كند النعمة كفرها ولم يشكرها وأنشدوا

كنود لنعماء الرجال ومن يكن ✡ كنودا لنعماء الرجال يبعد

وعن ابن عباس ومقاتل الكنود بلسان كندة وحضر موت العاصى وبلسان ربيعة ومضر الكفور وبلسان كنانة البخيل السيء الملكة ومنه الارض الكنود التى لاتنبت شيئاً وقال الكلبى نحوه الا أنه قال وبلسان بنى مالك البخيل ولم يذكر حضر موت بل اقتصر على كندة وتفسيره بالكفور هنا مروى عن ابن عباس والحسن وأخرجه ابن عساكر عن أبى امامة مرفوعا الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفى رواية أخرى عن الحسن أنه قال هو اللائم لربه عز وجل يعد السيآت وينسى الحسنات وروى الطبرانى وغيره بسند ضعيف عن أبى امامة قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أتدرون ما الكنود قالوا الله تعالى ورسوله أعلم قال هو الكفور الذى يضرب عبده ويمنع رفده ويأكل وحده وأخرج البخارى فى الادب المفرد والحكيم الترمذى وغيرهما تفسيره بالذى يمنع رفده وينزل وحده ويضرب عبده موقوفا على أبى امامة والجمهور على تفسيره بالكفور وكل مما ذكر لايخلو عن كفران والكفران المبالغ فيه يجمع صنوفا منه وال فى الانسان للجنس والحكم عليه بما ذكر باعتبار بعض الافراد وقيل المراد به كافر معين لما روى عن ابن عباس أنها نزلت فى قرط بن عبد الله بن عمرو بن نوفل القرشى وأيد بقوله تعالى بعد أفلا يعلم الخ لانه لايليق الا بالكافر وفى الأمرين نظر وقيل المراد به كل الناس على معنى أن طبع الانسان يحمله على ذلك الا إذا عصمه الله تعالى بلطفه وتوفيقه من ذلك واختاره عصام الدين وقال فيه مدح للغزاة لسعيهم على خلاف طبعهم. ولربه متعلق بكنود واللام غير مانعة من ذلك وقدم للفاصلة مع كونه أهم من حيث ان الذم البالغ انما هو على كنود نعمته عز وجل وقيل للتخصيص على سبيل المبالغة ﴿وَإِنَّهُ﴾ أى الانسان كما قال الحسن ومحمد بن كعب ﴿عَلَى ذَلِكَ﴾ أى على كنوده ﴿لَشَهِيدٌ﴾ لظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال الذى هو أفصح من لسان المقال وقيل هى بلسان المقال لكن فى الآخرة وقيل شهيد من الشهود لا من الشهادة بمعنى أنه كفور مع علمه بكفرانه وعمل السوء مع العلم به غاية المذمة والظاهر الاول وقال ابن عباس وقتادة ضمير أنه عائد على الله تعالى أى وان ربه سبحانه شاهد عليه فيكون الكلام على سبيل الوعيد واختاره التبريزى فقال هو الاصح لان الضمير يجب عوده الى أقرب مذكور قبله وفيه ان الوجوب ممنوع واتساق الضمائر وعدم تفكيكها يرجح الاول فان الضمير السابق أعنى ضمير لربه للانسان ضرورة وكذا الضمير اللاحق أعنى الضمير فى قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ أى المال

وورد بهذا المعنى في القرآن كثيرا حتى زعم عكرمة أن الخير حيث وقع في القرآن هو المال وخصه بعضهم بالمال الكثير وفسر به في قوله تعالى ان ترك خيراً الوصية واطلاق كونه خيرا باعتبار ما يراه الناس والا فنه ما هو شر يوم القيامة واللام للتعليل أي أنه لاجل حب المال ﴿ لَشَدِيدٌ ﴾ أي لبخيل كما قيل وكما يقال للبخيل شديد يقال له متشدد كما في قول طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي ✡ عقيلة مال الفاحش المتشدد

وشديد فيه يجوز أن يكون بمعنى مفعول كأن البخيل شد عن الافضال ويجوز أن يكون بمعنى فاعل كانه شد صرته فلا يخرج منها شيئا وجوز غير واحد ان يراد بالشديد القوى ولعله الاظهر وكان اللام عليه بمعنى في أي وانه لقوى مبالغ في حب المال والمراد قوة حبه له وقال الزمخشري المعنى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله تعالى وشكر نعمته سبحانه ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا وجعل النيسابوري اللام على هذا للتعليل وليس بظاهر فتأمل وقال الفراء يجوز ان يكون المعنى وانه لحب الخير لشديد الحب يعني انه يحب المال ويحب كونه محباله الا أنه اكتفى بالحب الاول عن الثاني كما قال تعالى اشتدت به الريح في يوم عاصف أي في يوم عاصف الريح فاكتفى بالاولى عن الثانية وقال قطرب أي انه شديد لحب الخير كقولك انه لزيد ضروب في انه ضروب لزيد وظاهر لتمثيل انه اعتبر حب الخير مفعولا به لشديد وان شديدا اسم فاعل جيء به على فعيل للمبالغة وان اللام في لحب للتقوية وفيه مافيه وقيل يجوز أن يعتبر أن شديدا صفة مشبهة كانت مضافة الى مرفوعها وهو حب المضاف الى الخير اضافة المصدر الى مفعوله ثم حول الاسناد وانتصب المرفوع على التشبيه بالمفعول به ثم قدم وجر باللام وفيه مع قطع النظر عن التكلف أن تقدم معمول الصفة عليها لايجوز وكونه مجروراً في مثل ذلك لايجدى نفعا اذ ليس هو فيه نحو زيد بك فرح كما لايخفى ويفهم من كلام الزمخشري في الكشاف جواز أن يراد بما هو عنده تعالى من الطاعات على أن المعنى انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض وقوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴾ الخ تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ومفعول يعلم محذوف وهو العامل في اذا وهي ظرفية أي أيفعل مايفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم الآن ما له اذا بعثر من في القبور من الموتى وأراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقال الحوفي العامل في اذا الظرفية يعلم وأورد عليه أنه لايراد منه العلم في ذلك الوقت بل العلم في الدنيا وأجيب بأن هذا انما يرد اذا كان ضمير يعلم راجعا الى الانسان وذلك غير لازم على هذا القول لجواز أن يرجع اليه عز وجل ويكون مفعولا يعلم محذوفين والتقدير أفلا يعلمهم الله تعالى عاملين بما عملوا اذا بعثر على أن يكون العلم كناية عن المجازاة والمعنى أفلا يجازيهم اذا بعثر ويكون الجملة المؤكدة بعد تحقيقا وتقريرا لهذا المعنى وهو كما ترى وقيل ان اذا مفعول به ليعلم على معنى أفلا يعلم ذلك الوقت ويعرف تحققه وقل ان العامل فيها بعثر بناء على أنها شرطية غير مضافة قالوا ولم يجوز أن يعمل فيها الخبير لان مابعد إن لايعمل فيما قبلها وأوجه الاوجه ماقدمناه وتعدى العلم إذا كان بمعنى المعرفة لواحد شائع وتقدم تحقيق معنى البعثرة فتذكر .وقرأ عبد الله بحثر بالحاء والثاء المثلثة وقرأ الاسود بن زيد بحث بهما بدون راء وقرأ نصر بن عاصم بحثر كقراءة عبد الله لكن بالبناء للفاعل ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴾ أي جمع مافي القلوب من العزائم المصممة وأظهر كاظهار اللب من القشر وجمعه أو ميز خيره من شره فقد استعمل حصل الشيء بمعنى ميزه من غيره كما في البحر وأصل التحصيل اخراج اللب من القشر كاخراج الذهب من حجر المعدن

والبر من التبن وتخصيص مافي القلوب لانه الاصل لاعمال الجوارح ولذا كانت الاعمال بالنيات وكان أول الفكر آخر العمل فجميع ماعمل تابع له فيدل على الجميع صريحا وكناية وقرأ ابن يعمر ونصر بن عاصم ومحمد بن أبى معدان وحصل مبنيا للفاعل وهو ضميره عز وجل وقرأ ابن يعمر ونصر ايضا حصل مبنيا للفاعل خفيف الصاد فما عليه هو الفاعل ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ﴾ أى المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الثانى بضمير العقلاء بعد ماعبر عنهم قبل ذلك بمابناء على تفاوتهم في الحالين ﴿بِهِمْ﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أى يوم اذ يكون ما عد من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور والظرفان متعلقان بقوله تعالى ﴿لَخَبِيرٌ﴾ أى عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كماينبىء عنه تقييده بذلك اليوم والا فطلق علمه عز وجل بماكان وماسيكون. وقرأ أبو السمال والحجاج ان ربهم بهم يومئذ خبير بفتح همزة أن واسقاط لام التاكيد فان وما بعدها فى تأويل مصدر معمول ليعلم على مااستظهره بعضهم وأيد به كون يعلم معلقة عن العمل في إن ربهم الخ على قراءة الجمهور لمكان اللام واذا على هذا لايجوز تعلقها بخبير أيضا لكونه في صلة ان المصدرية فلا يتقدم معموله عليها ويعلم أمره مما تقدم وقيل الكلام على تقدير لام التعليل وهي متعلقة بحصل كأنه قيل وحصل مافي الصدور لان ربهم بهم يومئذ خبير والاول أظهر والله تعالى أعلم وأخبر

سـورة والعـاديات

وهي مكية؛ في قول ٱبن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء. ومدنِية في قول ٱبن عباس وأنس ومالك وقتادة. وهي إحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[١] ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١﴾.

[٢] ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢﴾.

قوله تعالى: ﴿والعادِياتِ ضبحا﴾ أي الأفراس تعدو. كذا قال عامة المفسرين وأهل اللغة؛ أي تعدو في سبيل الله فتضبح. قال قتادة: تضبح إذا عدت؛ أي تحمِحم. وقال

---

(١) قال أبو أحمد العسكري: «وقد وهم بعضهم في صعصعة بن معاوية عم الأحنف بن قيس، فقال: صعصعة عم الفرزدق وهو غلط». والمعروف أن صعصعة بن ناجية هو جد الفرزدق، وليس له عم يسمى صعصعة. راجع كتاب الإصابة وأسد الغابة في ترجمة صعصعة. (٢) هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة، يرى منها البحر، ولها طريقان، فكل من سلك واحداً منهما أفضى به إلى موضع واحد. في معجم البلدان لياقوت: خذا أنف هرشى... وفي «اللسان»: خذا جنب هرشى...

الفراء: الضَّبْح: صوت أنفاس الخيل إذا عَدَوْن. ٱبن عباس: ليس شيء من الدواب يضْبَح غير الفرس والكلب والثعلب. وقيل: كانت تُكْعَم[١] لئلا تصهَل، فيعلم العدوّ بهم؛ فكانت تتنفس في هذه الحال بقوّة. قال ٱبن العربي: أقسم الله بمحمدٍ ﷺ فقال: ﴿يَس. والقرآنِ الحكِيم﴾، وأقسم بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمهُون﴾[٢]، وأقسم بخيله وصهيلها وغُبارها، وقدح حوافرها النار من الحجر، فقال: ﴿والعادِيات ضَبْحا﴾... الآيات الخمس. وقال أهل اللغة[٣]

وَطَعنــةٍ ذاتِ رَشــاشٍ واهِيَــهْ طَعَنْتُهــا عنــدَ صُــدُورِ العَــادِيــهْ

يعني الخيل. وقال آخر:

والعادياتُ أسابِيُّ الدماءِ بها كأنّ أعناقَها أنصاب ترجِيبِ[٤]

يعني الخيل. وقال عنترة:

والخيــل تعلــم حيــن تَضْـ ـبَحُ فِي حِياضِ المَوْتِ ضَبْحَا

وقال آخر:

لَسْـتُ بـالتُّبَّـعِ اليمـانِيِّ إنْ لَـمْ تَضْبَحِ الخيلُ في سَوادِ العِرَاقِ

وقال أهل اللغة: وأصل الضَّبْح والضُّباح للثعالب؛ فٱستعير للخيل. وهو من قول العرب: ضَبَحَتْه النار: إذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه. وقال الشاعر:

فَلَمَّــا أنْ تَلَهْــوجْنَــا شِــواءً بـه اللَّهَبـانُ مَقهـوراً ضَبِيحـا[٥]

وٱنضبح لونه: إذا تغير إلى السواد قليلاً. وقال:

عَلِقْتُهــا قَبْــلَ ٱنْضِبــاحِ لَــوْنِــي

(١) الكعام: شيء يجعل على فم البعير. (٢) آية ٧٢ سورة الحجر. (٣) قوله: «قال أهل اللغة...» إلى آخر البيت. هكذا ورد في جميع نسخ الأصل، وظاهر أن فيه سقطاً؛ يوضحه أبو حيان في البحر بقوله: «قال أهل اللغة: أصله للثعلب، فاستعير للخيل...» الخ. على أن المؤلف أورده فيما يأتي. (٤) البيت لسلامة بن جندل. والأسابي: الطرق من الدم. وأسابي الدماء: طرائقها. والترجيب: أن تدعم الشجرة إذا كثر حملها، لئلا تتكسر أغصانها. قال ابن منظور: «فإنه شبه أعناق الخيل بالمرجب. وقيل: شبه أعناقها بالحجارة التي تذبح عليها النسائك». (٥) البيت لمضرس الأسدي. والملهوج من الشواء: الذي لم يتم نضجه. واللهبان؛ اتقاد النار واشتعالها.

وإنما تَضْبَح هذه الحيوانات إذا تغيرت حالها من فَزَع وتعب أو طمع. ونصب ﴿ضَبْحا﴾ على المصدر؛ أي والعاديات تضبحُ ضَبْحاً. والضبح[١] أيضاً الرّماد. وقال البصريون: ﴿ضَبْحاً﴾ نصب على الحال. وقيل: مصدر في موضع الحال. قال أبو عبيدة: ضَبَحَتِ الخيل ضَبْحاً مثل ضَبَعَتْ؛ وهو السير. وقال أبو عبيدة: الضَّبْح والضَّبْع: بمعنى العدو والسير. وكذا قال المبرد: الضبح مدّ أضباعها في السير. وروي أن رسول الله ﷺ بعث سَرِيّة إلى أناس من بني كِنانة، فأبطأ عليه خبرها، وكان أستعمل عليهم المنذر بن عمرو الأنصاري، وكان أحد النقباء؛ فقال المنافقون: إنهم قُتلوا؛ فنزلت هذه السورة إخباراً للنبيّ ﷺ بسلامتها، وبشارة له بإغارتها على القوم الذين بعث إليهم. وممن قال: إن المراد بالعاديات الخيل، أبنُ عباس وأنس والحسن ومجاهد. والمراد الخيل التي يغزو عليها المؤمنون. وفي «الخبر»: «من لم يعرف حُرْمة فرس الغازي، ففيه شُعبة من النفاق». وقول ثان: أنها الإبل؛ قال مسلم: نازعتُ فيها عكرمة فقال عكرمة: قال أبن عباس هي الخيل. وقلت: قال عليّ هي الإبل في الحج، ومولاي أعلم من مولاك. وقال الشعبيّ: تمارى[٢] عليّ وأبن عباس في ﴿العاديات﴾، فقال عليّ: هي الإبل تعدو في الحج. وقال أبن عباس: هي الخيل؛ ألا تراه يقول ﴿فأثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾ فهل تثير إلا بحوافرها! وهل تَضْبَحُ الإبل! فقال عليّ: ليس كما قلت، لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس أبلق للمقداد، وفرس لمَرْثَد بن أبي مَرْثَد؛ ثم قال له عليّ: أتفتِي الناس بما لا تعلم! والله إن كانت لأوّل غزوة في الإسلام وما معنا إلا فرسان: فرس للمقداد، وفرس للزُّبير؛ فكيف تكون العادياتِ ضبحاً! إنما العادياتُ الإبل من عَرَفَة إلى المزدلِفة، ومن المزدلِفة إلى عرفة. قال ابن عباس: فرجعت إلى قول عليّ، وبه قال ابن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدّي. ومنه قول صفِية بنت عبد المطلب:

فـلا والعـاديـاتِ غَـداة جَمْـع ... بـأيـديهـا إذا سَطَـع الغُبـار

---

(١) في «القاموس»: «والضبح بالكسر الرماد».

(٢) التماري والمماراة: المجادلة.

يعني الإبل. وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو، وهو تباعد الأرجل في سرعة المشي. وقال آخر:

رأى صاحبي في العادياتِ نَجِيبةً وأمثالَها في الواضعاتِ القوامِسِ[1]

ومن قال هي الإبل فقوله ﴿ضبحاً﴾ بمعنى ضبعا؛ فالحاء عنده مبدلة من العين؛ لأنه يقال: ضبعت الإبل وهو أن تمد أعناقها في السير. وقال المبرد: الضبع مدّ أضباعها في السير. والضبح أكثر ما يستعمل في الخيل. والضبع في الإبل. وقد تبدل الحاء من العين. أبو صالح: الضبح من الخيل: الحمحمة، ومن الإبل التنفس. وقال عطاء: ليس شيء من الدواب يَضْبَحُ إلا الفرس والثعلب والكلب؛ وروى عن ابن عباس. وقد تقدّم عن أهل اللغة أن العرب تقول: ضَبَح الثعلب؛ وضبح في غير ذلك أيضاً. قال تَوْبة:

ولـو أنَّ ليلَـى الأخيلِيـةَ سَلَّمَـتْ عَلـيَّ ودونِـي تُـرْبـة[2] وصفـائِـح
لَسَلَّمْـتُ تسليـمَ البشـاشـةِ أو زَقَـا إليها صَدًى من جانب القبر ضابحُ[3]

زقا الصدى يزقو زُقاء[4]: أي صاح. وكل زاقٍ صائح. والزَّقْية: الصيحة. ﴿فالمورِياتِ قَدْحا﴾ قال عكرمة وعطاء والضحاك: هي الخيل حين تُورِي النار بحوافرها، وهي سنابكها؛ وروي عن ابن عباس. وعنه أيضاً: أورت بحوافرها غُبارا. وهذا يخالف سائر ما روي عنه في قدح النار؛ وإنما هذا في الإبل. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿والعادياتِ ضَبْحاً. فالمُورِياتِ قَدْحاً﴾ قال قال ابن عباس: هو في القتال وهو في الحج. ابن مسعود: هي الإبل تطأ الحصى، فتخرج منها النار. وأصل القَدْحِ الاستخراج؛

---

(١) في «اللسان» مادة (عدا): «وحكى الأزهري عن ابن السكيت (وإبل عادية: ترعى الخلّة ولا ترعى الحمض...) وقال: وكذلك العاديات» وساق البيت. وفي «اللسان» أيضاً مادة (رضع): «وناقة واضع وواضعة ونوق واضعات: ترعى الحمض حول الماء. وأنشد ابن بري قول الشاعر...» الخ. ولفظ «القوامس» هكذا ورد في اللسان وشرح القاموس. وبعض نسخ الأصل. وفي نسخة: «القرامس» بالراء. ولعل الصواب: «العرامس» جمع عرمس (بكسر العين): وهي الناقة الصلبة الشديدة.

(٢) في نسخة: «جندل» وهي رواية في البيت. (٣) في رواية صائح. ولا شاهد فيه.

(٤) في «اللسان»: «زقا يزقو ويزقى زقواً وزقاء وزقوا وزقيا وزقياً وزقيا.

ومنه قَدَحْت العين: إذا أخرجت منها الماء الفاسد. واقتدحْت بالزند. واقْتَدَحْتُ المرق: غَرفته. ورَكَّى قَدُوح: تغترف باليد. والقَديح: ما يبقى في أسفل القِدر، فيغرف بجَهد. والمِقْدحة: ما تُقْدَح به النار. والقدّاحة والقدّاح: الحجر الذي يُورِي النار. يقال: وَرَى الزند (بالفتح) يَرِي وَرْياً: إذا خرجت ناره. وفيه لغة أخرى: وَرِي الزند (بالكسر) يَرِي فيهما. وقد مضى هذا في سورة ﴿الواقعة﴾[1]. و ﴿قَدْحاً﴾ انتصب بما انتصب به ﴿ضَبْحاً﴾. وقيل: هذه الآيات في الخيل؛ ولكن إيراءَهَا: أن تهيج الحرب بين أصحابها وبين عدوّهم. ومنه يقال للحرب إذا التحمت: حَمِيَ الوَطِيسُ. ومنه قوله تعالى: ﴿كُلَّما أوقَدُوا ناراً للحَرْبِ أطْفأها اللَّهُ﴾[2]. وروي معناه عن ابن عباس أيضاً، وقاله قتادة: وعن ابن عباس أيضاً، وقاله قتادة. وعن ابن عباس أيضاً: أن المراد بالمُوريات قَدْحاً: مَكْرُ الرجال في الحرب؛ وقاله مجاهد وزيد بن أسلم. والعرب تقول إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه: واللَّهِ لأَمْكُرنَّ بك، ثم لأُورِيَنَّ لك. وعن ابن عباس أيضاً: هم الذين يغزُون فيُورون نيرانهم بالليل، لحاجتهم وطعامهم. وعنه أيضاً: أنها نيران المجاهدين إذا كثرت نارها إرهاباً. وكل من قرب من العدوّ يُوقد نيراناً كثيرة ليظنهم العدوّ كثيراً. فهذا إقسام بذلك. قال محمد بن كعب: هي النار تجمع. وقيل: هي أفكار الرجال تُورِي نار المكر والخديعة. وقال عكرمة: هي ألسنة الرجال تُورِي النار من عظيم ما تتكلم به، ويَظْهر بها، من إقامة الحُجج، وإقامة الدلائل، وإيضاح الحق، وإبطال الباطل. وروى ابن جُريج عن بعضهم قال: فالمُنجِحَات أمْراً وعملاً، كنجاح الزند إذا أورى.

قلت: هذه الأقوال مجاز؛ ومنه قولهم: فلان يُورِي زِناد الضلالة. والأوّل: الحقيقة، وأن الخيل من شِدّة عدوِها تقدح النار بحوافرها. قال مقاتل: العرب تسمي تلك النار نار أبـي حُباحِب، وكان أبو حُباحِب شيخاً من مُضَر في الجاهلية، من أبخل الناس، وكان لا يُوقد ناراً لخبز ولا غيره حتى تنام العيون، فيوقِد نُويرةً تَقِد مرّة وتخمد أخرى؛ فإن استيقظ لها أحد

(١) راجع ١٧/٢٢١. (٢) آية ٦٤ سورة المائدة.

أطفأها، كراهية أن ينتفع بها أحد. فشبهت العرب هذه النار بناره؛ لأنه لا يُنتقع بها. وكذلك إذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت ناراً، فكذلك يسمونها. قال النابغة:

ولا عيبَ فيهم غيرَ أنّ سُيُوفَهم بهنّ فَلولٌ مِن قِراع الكتائبِ
تَقُدّ السَّلُوقِيّ المضاعَفَ نَسْجُه وتُوقِد بالصُّفّاحِ نارَ الحُباحِبِ[1]

[٣] ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝﴾.

الخيل تغِير على العدو عند الصبح؛ عن ابن عباس وأكثرِ المفسرين. وكانوا إذا أرادوا الغارة سَرَوْا ليلاً، ويأتون العدوّ صبحاً؛ لأن ذلك وقت غفلة الناس. ومنه قوله تعالى: ﴿فساء صَباح المُنْذَرِينَ﴾. وقيل: لعِزهم أغاروا نهاراً، و ﴿صُبْحا﴾ على هذا، أي علانية، تشبيهاً بظهور الصبح. وقال ابن مسعود وعليّ رضي الله عنهما: هي الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من مِنى إلى جَمْع. والسنة ألا تَدْفع حتى تصبح؛ وقاله القُرَظِيّ. والإغارة: سرعة السير؛ ومنه قولهم: أشرِقْ ثَبِير[٣] كيما نُغِير.

[٤] ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝﴾.

أي غباراً؛ يعني الخيل تثير الغبار بشدّة العدو في المكان الذي أغارت به. قال عبد الله بن رواحة:

عَدِمْتُ بُنَيّتِي إن لم تَرَوْها تُثِير النَّقْعَ من كَنَفَيْ كَداءِ[٤]

والكناية في ﴿به﴾ ترجع إلى المكان أو إلى الموضع الذي تقع فيه الإغارة. وإذا عُلِم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجر له ذكر بالتصريح؛ كما قال ﴿حَتَّى توارت بِالحِجابِ﴾[٥]. وقيل: ﴿فأثرن بِهِ﴾،

---

(١) السلوقي: الدرع المنسوبة إلى سلوق، قرية باليمن. والصفاح: جمع صفاحة، وهي الحجر العريض.

(٢) آية ١٧٧ سورة الصافات.

(٣) ثبير: جبل بقرب مكة، وهو على يمين الذاهب إلى عرفة. أي ادخل في الشروق، وهو ضوء الشمس.

(٤) كداء (بفتح الكاف ومدّ الدال): جبل بمكة. والهاء في تروها: راجعة إلى الخيل المفهومة من السياق. ورواية صدر البيت في الشوكاني ٥/٤٦٩: (عدمنا خيلنا...).

(٥) آية ٣٢ سورة ص

أي بالعَدْو ﴿نَقْعاً﴾. وقد تقدّم ذكر العَدْو. وقيل: النقع: ما بين مزدلِفة إلى مِنى؛ قاله محمد بن كعب القُرَظِيّ. وقيل: إنه طريق الوادي؛ ولعله يرجع إلى الغبار المثار من هذا الموضع. وفي «الصحاح» النقع: الغبار، والجمع: نِقاع. والنقع: محبِس الماء، وكذلك ما اْجتمع في البئر منه. وفي الحديث: أنه نهى أن يمنع نقع البئر. والنقع الأرض الحرّة الطين يستنقع فيها الماء؛ والجمع نِقاع وأنقع؛ مثل بحر وبِحار وأبحر.

قلت: وقد يكون النقع رفع الصوت، ومنه حديث عمر حين قيل له: إن النساء قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد؛ فقال: وما على نساء بني المغِيرة أن يسفِكن من دموعهنّ وهنّ جلوس على أبي سليمان، ما لَمْ يكن نَقْع ولا لَقْلَقة. قال أبو عبيد: يعني بالنقع رفع الصوت؛ على هذا رأيت قول الأكثرين من أهل العلم؛ ومنه قول لبيد:

فمتـى ينقَـعْ صُـراخٌ صـادِق ... يُحْلِبـوهـا ذاتَ جَـرْس وزَجَـل

ويروى ﴿يَحْلِبوها﴾ أيضاً. يقول: متى سمعوا صراخاً أحلبوا الحرب، أي جمعوا لها. وقوله ﴿يَنْقَع صُراخ﴾: يعني رفع الصوت. وقال الكسائي: قوله «نقع ولا لقلقة» النقع: صنعة الطعام؛ يعني في المَأْتم. يقال منه: نقعْت أنقَع نَقْعا. قال أبو عبيد: ذهب بالنقع إلى النَّقيعة؛ وإنما النقيعة عند غيره من العلماء: صنعة الطعام عند القدوم من سفر، لا في المأتم. وقال بعضهم: يريد عَمر بالنقع: وضع التراب على الرأس: يذهب إلى أن النقع هو الغبار. ولا أحسب عمر ذهب إلى هذا، ولا خافه منهنّ، وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لهنّ القيام. فقال: يَسْفِكْنَ من دموعهنّ وهُنّ جلوس. قال بعضهم: النقع: شق الجيوب؛ وهو الذي لا أدري ما هو من الحديث ولا أعرفه، وليس النقع عندي في هذا الحديث إلا الصوت الشديد، وأمّا اللقلقة: فشِدّة الصوت، ولم أسمع فيه اختلافاً. وقرأ أبو حَيْوة ﴿فأَثّرْنَ﴾ بالتشديد؛ أي أرت آثار ذلك. ومن خفف فهو من أثار: إذا حرّك؛ ومنه ﴿وأثارُوا الأرضَ﴾(١).

---

(١) آية ٩ سورة الروم.

[٥] ﴿ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥ ﴾.

﴿جَمْعاً﴾ مفعول بـ ﴿وَسَطْن﴾؛ أي فوسطْن بركبانهن العدوّ؛ أي الجمع الذي أغاروا عليهم. وقال ٱبن مسعود: ﴿فَوَسَطْن بِهِ جمعا﴾: يعني مُزْدلِفة؛ وسميت جمعاً لاجتماع الناس. ويقال: وسَطْتُ القوم أَسِطُهم وسْطاً وسِطَةً؛ أي صِرت وَسْطَهم. وقرأ علي رضي الله عنه ﴿فَوَسَّطْن﴾ بالتشديد، وهي قراءة قتادة وٱبنِ مسعود وأبي رجاء؛ لغتان بمعنى، يقال: وسَّطْت القومَ (بالتشديد والتخفيف) وتَوَسَّطتُهُمْ: بمعنى واحد. وقيل: معنى التشديد: جعلها الجمع قسمين. والتخفيف: صِرْن في وسط الجمع؛ وهما يرجعان إلى معنى الجمع.

[٦] ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ ﴾.

هذا جواب القسم؛ أي طبع الإنسان على كفران النعمة. قال ٱبن عباس: ﴿لَكَنُودٌ﴾ لكفور جَحُود لنعم الله. وكذلك قال الحسن. وقال: يذكر المصائب وينسى النعم. أخذه الشاعر فنظمه:

يـا أَيُّهَـا الظـالـمُ فـي فِعْلِـهِ والظُّلم مردود على مَنْ ظَلَمْ
إلـى متـى أَنْـتَ وَحَتَّـى متـى تشكو المُصيباتِ وتنسى النعم!

وروى أبو أُمامة الباهِليّ قال قال رسول الله ﷺ: «الكَنُود، هو الذي يأكل وَحْدَه، ويمنع رِفْده[١]، ويضرب عَبْدَه». وروى ٱبن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أُنَبِّئُكُمْ بشرارِكُمْ؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: «من نَزَلَ وحدَه، ومنع رِفْدَه، وجَلَد عبدَه». خرجهما الترمذي الحكيم في نوادر الأصول. وقد روي عن ٱبن عباس أيضاً أنه قال: الكَنود بلسان كِندة وحضرموت: العاصي، وبلسان ربيعة ومضر: الكفور. وبلسان كِنانة: البخيل السَّيّء المَلَكة؛ وقاله مقاتل. وقال الشاعر:

كَنود لِنَعماء الرجالِ ومَنْ يكن كَنـوداً لنعمـاء الـرجـال يُبَعَّـدِ

---

(١) الرفد (بكسر الراء): العطاء والصلة.

أي كفور. ثم قيل: هو الذي يكفر اليسير، ولا يشكر الكثير. وقيل: الجاحد للحق. وقيل: إنما سميت كِنْدَة كِندة، لأنها جحدتْ أباها. وقال إبراهيم بن هَرْمَةَ الشاعر:

دعِ البخلاءَ إن شمخُوا وصَدُّوا وذِكْرَى بُخْلِ غانيةٍ كَنودِ

وقيل: الكَنود: من كَند إذا قطع؛ كأنه يقطع ما ينبغي أن يواصله من الشكر. ويقال: كَنَد الحبلَ: إذا قطعه. قال الأعشى:

أمِيطِي[1] تُمِيطي بصُلْبِ الفؤادِ وَصُولِ حِبالٍ وكَنَّادِها

فهذا يدل على القطع. ويقال: كَنَدَ يكْنِد كُنوداً: أي كفر النعمة وجحدها، فهو كنود. وامرأة كنود أيضاً، وكُنُدٌ مِثله. قال الأعشى:

أحدِث لها تحدِث لوصلك إنها كُنُد لوصلِ الزائر المعتادِ[2]

أي كفور للمواصلة. وقال ابن عباس: الإنسان هنا الكافر؛ يقول إنه لكفور؛ ومنه الأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً. وقال الضحاك: نزلت في الوليد بن المغيرة. قال المبرد: الكنود: المانع لما عليه. وأنشد لكثير[3]:

أحدِثْ لها تُحْدِثْ لوصلك إنها كُنُدٌ لِوَصل الزائر المعتاد

وقال أبو بكر الواسطي: الكنود: الذي ينفق نِعم الله في معاصي الله. وقال أبو بكر الوراق: الكنود: الذي يرى النعمة من نفسه وأعوانه. وقال الترمذي: الذي يرى النعمة ولا يرى المنعِم. وقال ذو النون المصري: الهلوع والكنود: هو الذي إذا مسه الشر جزوع، وإذا مسه الخير منوع. وقيل: هو الحقود الحسود. وقيل: هو الجهول لقدره. وفي الحكمة: من جهلِ قدره: هتك سِتره.

---

(١) ماط الأذى ميطاً. وأماطه: نحاه ودفنه. يقول إن تنحيت عني، باني صلب الفؤاد، وصول لمن وصل، كفور لمن كفر. ورواية صدر البيت في «اللسان». فميطي أي تنحي وأذهبي.

(٢) المعتاد: الذي يعود مرة بعد أخرى.

(٣) تقدّم أن هذا البيت للأعشى، وهو في ديوان، ولم نجده في ديوان كثير الذي بين أيدينا.

قلت: هذه الأقوال كلها ترجع إلى معنى الكفران والجحود. وقد فسر النبيّ ﷺ معنى الكنود بخصال مذمومة، وأحوال غير محمودة؛ فإن صح فهو أعلى ما يقال، ولا يبقى لأحد معه مقال.

[٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾.

أي وإن الله عز وجل ثناؤه على ذلك من ٱبن آدم لشهيد. كذا روى منصور عن مجاهد؛ وهو قول أكثر المفسرين، وهو قول ٱبن عباس. وقال الحسن وقتادة ومحمد بن كعب: ﴿وإنه﴾ أي وإن الإنسان لشاهد على نفسه بما يصنع؛ ورُوِي عن مجاهد أيضاً.

[٨] ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّه﴾ أي الإنسان من غير خلاف. ﴿لِحُبِّ الخَيرِ﴾ أي المال؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إن ترك خيراً﴾[١]. وقال عدِيّ:

ماذَا تُرَجِّي النفوسُ من طلبِ الـ ـخَيْر وحُبُّ الحياةِ كارِبُها[٢]

﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي لقويّ في حبه للمال. وقيل: ﴿لشدِيد﴾ لبخيل. ويقال للبخيل: شديد ومتشدّد. قال طَرَفة:

أَرَى الموتَ يعتامُ الكِرامَ ويَصْطَفِي عَقِيلَةَ مالِ الفاحِشِ المُتَشَدِّدِ

يقال: اعتامه وٱعتماه؛ أي ٱختاره. والفاحِشُ: البخيل أيضاً. ومنه قوله تعالى: ﴿ويأمُرُكُمْ بِالفَحشاءِ﴾[٣] أي البخل. قال ٱبن زيد: سمى الله المال خيراً؛ وعسى أن يكون شراً وحراماً[٤]؛ ولكن الناس يَعُدّونه خيراً، فسمَّاه الله خيراً لذلك. وسمى الجهاد سُوءاً، فقال: ﴿فٱنْقَلَبُوا بِنِعْمةٍ مِنَ اللَّهِ وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾[٥] على ما يسميه الناس. قال الفرّاء: نظم الآية أن يقال: وإنه لَشديد الحبّ للخير؛ فلما تقدّم الحب قال: شديد، وحذف من آخره

(١) آية ١٨٠ سورة البقرة.
(٢) كاربها: غامها؛ من كربه الأمر: اشتدّ عليه.
(٣) آية ٢٦٨ سورة البقرة.
(٤) في بعض نسخ الأصل: «شراً وخيراً».
(٥) آية ١٧٤ سورة آل عمران.

ذكر الحب؛ لأنه قد جرى ذكره، ولرؤوس الآي؛ كقوله تعالى: ﴿فِي يوم عاصِفٍ﴾[1]، والعُصُوف: للريح لا الأيام، فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم، طرح من آخره ذكر الريح؛ كأنه قال: في يوم عاصِف الريح.

[٩] ﴿ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ۝٩ ﴾.

[١٠] ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ ۝١٠ ﴾.

[١١] ﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١ ﴾.

قوله تعالى: ﴿أفلاَ يَعْلَمُ﴾ أي ابن آدم ﴿إذا بُعْثِرَ﴾ أي أثير وقُلِب وبُحِث، فأُخرج ما فيها. قال أبو عبيدة: بَعْثَرْتُ المتاع: جعلت أسفلهُ أعلاه. وعن محمد بن كعب قال: ذلك حين يُبْعَثون. الفرّاء: سمعت بعض أعراب بني أسد يقرأ: ﴿بُحْثِر﴾ بالحاء مكان العين؛ وحكاه الماورديّ عن ابن مسعود، وهما بمعنى. ﴿وحُصِّل ما فِي الصدورِ﴾ أي مُيز ما فيها من خير وشر؛ كذا قال المفسرون. وقال ابن عباس: أُبرِز. وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جُبير ويحيى بن يعمُر ونصر بن عاصم ﴿وحَصَل﴾ بفتح الحاء وتخفيف الصاد وفتحها؛ أي ظهر. ﴿إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾ أي عالم لا يخفى عليه منهم خافية. وهو عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره، ولكن المعنى أنه يجازيهم في ذلك اليوم. وقوله: ﴿إذا بُعثِر﴾ العامل في ﴿إذا﴾: ﴿بُعْثِر﴾، ولا يعمل فيه ﴿يَعْلَمُ﴾؛ إذ لا يراد به العلم من الإنسان ذلك الوقت، إنما يراد في الدنيا. ولا يعمل فيه ﴿خَبِيرٌ﴾؛ لأن ما بعد ﴿إنّ﴾ لا يعمل فيما قبلها. والعامل في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ﴿خَبِيرٌ﴾، وإن فصلت اللام بينهما؛ لأن موضع اللام الابتداء. وإنما دخلت في الخبر لدخول ﴿أَنّ﴾ على المبتدأ. ويروى أن الحجاج قرأ هذه السورة على المنبر يحضهم على الغزو، فجرى على لسانه: ﴿أَنَّ ربهم﴾ بفتح الألف، ثم استدركها فقال: ﴿خَبير﴾ بغير لام. ولولا اللام لكانت مفتوحة، لوقوع العلم عليها. وقرأ أبو السَّمَّال ﴿أَنَّ رَبَّهمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَبِيرٌ﴾. والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) آية ١٨ سورة إبراهيم.